# حول التعليم العالي

**« الراديو والغراموفونات والصحف والمجلات تقوم مقام الكليات »**

لم يزل يكثر تهافت الناس على الكليات في امريكا بحيث امسى لا ينظر الفكيرون الى هذه الحركة بعين الرضاء والارتياح فاخذوا يبحثون عللها ونتائجها.

وقد وقفنا في هذه الايام على فصل ضاف عقدته مجلة ( الباث فايندر ) الامريكية لهذا الامر الهام . رأينا ان نتحف به قراء الحديث بصورة موجزة ؛ قالت :

« يدخل الآن كلياتنا اكثر من نصف مليون من الطلاب والطالبات في السنة ولم يكن عددهم هذا من قبل ولم تكن الكليات مألوفة بهذه الدرجة والظاهر هو ان الطلاب يتهافتون على الكليات حباً بتحصيل العلم ولكنك لو قفيت آثارهم وانصت الى أحاديثهم ونفذت الى احساساتهم لوجدت «العلم» في ادنى طبقة مما تشتهيه انفسهم وما فيه يرغبون .

اما الذي يجذب الطلاب الى الكليات وما يبعث فيهم الحرص على طرق ابوابها فهو كثير . فهنالك كرة القدم التي يكاد يفقد الطلاب رشدهم من اجل المباراة فيها وهنالك المصارعة والملاكمة والقفز ولعبة الصولجان وغيرها مما يهتم به الطلاب . وهم كذلك يهتمون بالحياة الاجتماعية وتأسيس أواصر الصداقة مع الفتيات والفتيان و يتولعون بالرقص والمجون المدرسية .

ولقد صرح بعض مدري الكليات بان في الكليات كثير من الطلاب الذين لا شأن لهم فيها اذ هم لا يريدون العلم ولا قدرة لهم على تحصيله .ومن



اجل ذلك اخذت الكليات بتشديد الفحص على الذين يدخلونها لكي تعلم درجة ذكاء الطلاب فتسقط الذين لا يستطيعون الاشتغال بدرس العلم . ولكن لم تنجح هذه الطريقة لان اولاد الاغنياء هم اكثر الطلاب طيشاً وهذا الفريق لا يمسه احد بسوء للاموال التي يغدقها ذووه على الكليات .

قال ( دين غوس ) ١٫٠٠٠٫٠٠٠ من ٦٠٠٫٠٠٠ من طلاب الكليات لم يدخلوا الكليات من اجل غاية معلومة ولو استخدم هذا الفريق امواله التي ينفقها على الكليات فى الحياة العملية الاقتصادية لنجح وانتفع منه المجتمع اكثر مما يؤمل له بعد التعليم العالي . واقد صرح الدكتور ( نايت دنلوب ) المنسوب الى مجلس البحوث الوطنية « ان مسائل الحب والشكوك الدينية والمخاوف التي تنتاب الطلاب هي التي تعيقهم عن التقدم في دراستهم » ويقول الدكتور ( جارلس ايج مايو ) الجراح الشهير « ان طريقة التعليم الحاضرة سقيمة » ويقول الدكتور ( جون بتي ) « لم تتغلب المعاهد التي تدرس بالبريد على الكليات الا لتواني الكليات عن اداء واجباتها »

ولقد وصلت مسألة المدارس الى درجة مقلقة جداً واجمع الكل على ان الكليات تحتاج الى اصلاح كبير ومن أجل ذلك أخذ مجلس المعارف يبحث في هذا الاصلاح على منهج معروف وتجاريب خاصة يجريها في ثلاث سنوات.

يريد المجلس ان يعرف لماذا يذهب الاولاد الى الكليات ؟ هل هم متشوقون الى دراسة الهندسة العالية ام تلاوة هومر وفيرجل ام ليتعلموا الفلسفات المختلفة التى اوحاها الفلاسفة من ( سوقراط الى بوركسون أم لكي يبرزوا في العلوم الطبيعية والكيمياء والفن المعماري والجيوليوجيا وغيرها ؟

ويريد ان يعلم هل يحضى الطلاب بعضهم على مراجعة دور العلم من اجل الانكباب على هذه العلوم أم عم يتحادثون فى زوايا الشوارع وقوارع الطرق؟

وقد فهم المجلس ان عدداً كثيراً من الطلاب يدخلون الكليات لاعتقادهم بانها هي الطريقة المثلى فى الحياة . كما هنالك فريق يعتقد ان حياة الكلية اهنأ من حياة العمل . وفهم المجلس ايضاً ان البعض يذهب الى الكلية بدافع حب الشهرة والبعض للتلذذ بالالعاب الرياضية او الرقص والشرب وقتل الوقت . وكذلك هناك فريق من ذوي الافكار السامية والمثل العليا يذهب برغبة صادقة للعلم .

يقول ايج . جي ( ويلز ) الكاتب الشهير « امست الكليات على حافة التلاشي وسوف تتلاشى بعد قرن او ما يقارب . والخبرة التى يستقيها المرء عن الكليات تنذر القوى العقلية بالشبور وتقضي على روحية الطفل » .

والف « دين هوكس » المنسوب الى جامعة كولومبيا كتابا فى موضوع الكليات اسماه « الكليات — ما الفائدة منها ؟؟ » ذهب فيه مذهب ويلز الى حد ما . وهو يقول ان حياة الكليات قد تضر بالطلاب غير الصالحين . ولكنه يرى ان الحالة آخذة بالتحسن ويتوقع ان يزداد هذا التحسن وضوحاً فى المستقبل القريب . وهو يعزو هذه التحسينات الى الاصلاحات التى ادخلت على انظمة الكليات . ويذكر من جملة هذه الاصلاحات طريقة اختيار المواضيع ونبذ الطريقة الالزامية فى الدرس . ثم هو يعتقد بان أخذ يحسن الطلاب ايضاً سلوكهم والافكار المعادية الى الكليات آخذة بالتغير .

غير ان حتى لو غير الطلاب سلوكهم وانكبوا على التحصيل لا تزال هنالك مسألة الاربع سنوات التى يقضيها الطالب فى الكلية . ما الفائدة من جائزة البكالوريا وماذا ستجدي درجة الاستاذية ؟ انتقد فى هذه الايام احد اساتذة الكليات درجة الدكترة في الفلسفة قائلا انها تدل على رغبة فى الهرب من الحياة العملية الشاقة .



ونحن اذا ماردنا ان نتفهم الغاية التي يرمى اليها الرجل والمرأة بانكبابهما على الدرس عدة سنوات من اجل الدكترة او جائزة الحقوق : لانجد امامنا مايوضح ذلك سوى « العمل » الذي اختاراه لهما في الحياة . ويصح نفس الشيء فى الهندسة و بقية الصناعات والمهن نحن اناس خلقنا من اجل العمل والعمل وجهتنا التي نستقبلها في الحياة وما دام الامر هذا اذن لايحتاج الطالب الى اعتزال الحياة العملية مدة اربع سنوات فى الكلية من اجل « صقل دماغه » و « استثمار ذكائه » بقصد « الاتصال بالحياة » اذ يستطيع الطالب ان يكون ميكانيكياً فى المعمل وكمياوياً فى المختبر او متخصصاً باشعة رونتكن فى معهد اشعة رونتكن .

وفكرة « الدرس » فكرة قديمة ورثناها من الاجيال البائدة « ولا تزال تنهج الكليات على المنهج الذي وضع من اجل اهل القرون الوسطى » كما يقول الدكتور دنلوب .

ولاريب ان لم تنشأ الكليات فى الازمنة السالفة الا من اجل درس اللغات اللاتينية واليونانية والوطنية والبلاغة خاصة . وكان الطلاب — اذ ذاك — من البيوتات الارستوقراطية وابناء الاغنياء ممن لايرجى اشتغالهم في الحياة . ثم اخذت تتسرب تلك الموضوعات الى مناهج التدريس العصرية بحيث اصبحت اللغتين اللاتينية واليونانية اليوم بمقام العمود الفقرى في مناهج التدريس يرغم كل طالب على درسها وان لم تبق حاجة لهما .

لهذه المناسبة نسأل « هل لايمكن « اخذ » ما تعطيه الكليات عن غير طريق الكليات ؟ وهل تستحق حياة « الكلية » اربع سنوات يقع خلالها المرء عن حياة العمل الرابح : حياة الجد والايجاد ؟ يقول ذوو الرؤوس الصلبة « كلا » ولو يلز ان يبرهن لنا عن صحة رأيه القائل بتلاشي الكليات